رسوم صيد الإبل في «قرية» الفاو بالمملكة العربية السعودية: قراءة جديدة

علي التجاني الماحي

ملخص: هذه قراءة ثانية لرسوم صيد الإبل في «قرية» الفاو بالمملكة العربية السعودية، ويؤرخ لها ما بين القرنين الأول والخامس الميلاديين. فقد عُثر في «قرية» الفاو على ثلاثة رسوم جدارية تصور مشاهد لصيد الإبل؛ فيها فرسان يطاردون الإبل. والرسم واضح جلي؛ إلا أن هنالك أسئلة وتفاصيل مهمة تفرضها دراسة الرسوم الأثرية، وتأخذ بها. وتتناول هذه الدراسة وتبحث في احتمالات أن الإبل المصورة، كانت برية أو متوحشة. ثم تنظر في أسلوب صيد الإبل بوساطة النصال ومطاردتها بالخيل، ومتطلبات نجاح ذلك النمط من الصيد؛ و بذلك، تطرح الدراسة قراءة ثانية لممارسة صيد الإبل في الجزيرة العربية في تلك الفترة الزمنية.

Abstract: This paper examines the three drawings of camel hunting reported from Al Fau in Saudi Arabia. The three drawings are dated between the First and the Fifth centuries AD. They portray three hunting scenes where horse riders chase camels. The paper examines whether the camels were wild or feral. It also looks into the technique of hunting camels on a horse back. The paper presents a second interpretation and casts light on the skills of this hunting method.

المقدمة

«الرسم هو الاختبار الحقيقي للفن» *(Ingres 1922:70)*.

إن قراءة الرسوم الأثرية من أصعب المهام قاطبة، وأكثرها جسامة في العمل الأثري؛ إذ إنها رسم من الماضي البعيد نسعى للقراءة فيه، لاستخلاص فكر مجموعات مختلفة من بني الإنسان ورؤيتها وثقافتها. والرسم أثر لفكر، علامته رغبة الإنسان في إثبات بقائه وحضوره وثقافته (الماحي تحت النشر). وعليه، تكون الرسوم الصخرية دلالة لثقافة المجتمعات الإنسانية القديمة ونشاطاتها؛ فالدلالة، كما قال أبو هلال العسكري (١٩٨٣: ٥٩) هي «ما يمكن أن يستدل به قصد فاعله ذلك، قصد أو لم يقصد. وإن الأفعال المحكمة دلالة على علم فاعلها، وإن لم يقصد فاعلها أن تكون دلالة على ذلك». وعليه، تكون الرسوم الأثرية دلالة وأفعالا محكمة دالة على علم فاعلها ومراده في ذلك الزمان البعيد.

وهكذا، وظّف الإنسان الرسم منذ القدم في تحقيق غايات مختلفة، ارتبطت بتجسيد شخصه، وإبراز مكانته، وإثبات وجوده وحضوره في موضع بعينه، وتقديم ثقافته ورؤيته ومعتقداته. والرسم صفحات معبرة عن سيكولوجية الإنسان؛ فهو كثيراً ما يحمل أحلام صاحبها وتمنياته. الأمر الذي يتطلب منا - عند قراءة الرسوم الأثرية - أن ندرك أن ما قام به الإنسان الرسام، قد يمثل شيئا من خياله أو واقعه، أو في الأقل شيئا من ذاكرته؛ بمعنى أننا لا نملك ما نؤكد به أن الرسم تم نقلا من الواقع المباشر للفنان أو ما هو على غير ذلك. وصواب الإشارة هنا أن قراءة الرسم هي الاختبار الحقيقي للتحليل والتفسير الأثري، وليس الاختبار الحقيقي للفن. ولكن، ما الحيلة إذا كانت إشكاليات الرسوم الأثرية دائما مشروعة، والآفاق التي تتيحها أمام الدارسين تتأرجح بين الرحيب الممكن والمحدود الممتنع.

هذا الفن القديم مصدر مهم من مصادر علم الآثار؛ فقد صور رسما الإنسان وأدواته، ونشاطاته الإنتاجية المختلفة وقاماته، وفي بعض الأحيان هيئته وملابسه كذلك. ومن ناحية أخرى، صور لنا هذا الفن الحيوانات والنباتات المختلفة، البريّ منها والمستأنس، وقدّم رموزا تخص ثقافة تلك المجتمعات القديمة (الماحي تحت النشر). ومع هذا فالرسوم الأثرية بأنواعها، يحف بها قدر من الإشكاليات، عمدتها

(ص ص ٧-٢٠) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

غياب وسيلة تحدد تأريخها المطلق (Absolute dating).

يتناول هذا البحث ثلاثة رسوم على جدران دكان في الجانب الجنوبي من «قرية» الفاو بالمملكة العربية السعودية، التي تم التنقيب فيها ودراسة المواد المكتشفة منها، فخلصت دراسة الموقع إلى أن هذه الرسوم الأثرية تصور صيدا للإبل (الأنصاري ١٩٨٢). وهذا البحث من جانبه، لا ينطلق من أمر غير مبرّر، بل من إشكاليات واضحة وحيرة علميّة مشروعة. والغاية التي إليها قصدنا هي تقديم قراءة ثانية لا تنفي القراءة الأولى، بل تفتح الأفق لاحتمالات أخرى لمن يتطلع في رسوم صيد الإبل في «قرية» الفاو، لتكون أكثر اتساعا في المضمون، وأشمل في المعاني، وصولا إلى قدر من توضيح الدلالة، وحسن الإشارة. ويجدر بنا قبل الخوض في مسعى هذا البحث، أن نطل على موقع «قرية» الفاو ورسومها الأثرية، ثم نعرج على آثار الإبل في الجزيرة العربية، وصولا إلى القراءة الثانية موضوع البحث.

«قرية» الفاو

المرجع الأثري لموقع «قرية» الفاو، ورسومها هو كتاب («قرية» الفاو صور للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية: الأنصاري ١٩٨٢). والكتاب كثير الأركان، دالّ على كثافة العمل الأثري والجهد العلمي، ومقنع بما يحتويه من نتائج تحليلية وتفسيرية. وعليه رحت أنتخب منه المعلومات الدالة عن «قرية» الفاو، والتي تمكننا من تقديم موضوع هذا البحث، وعرض خلفياته الأثرية.

«قرية» الفاو مدينة عربية، وحاضرة مملكة كندة، التي يؤرخ لها بين القرنين الأول والخامس الميلاديين، استنادا إلى ما جاء في الكتابات الجنوبية (الأنصاري ١٩٨٢ : ١٦). وازدهرت «قرية» الفاو قبل فجر الإسلام في وسط جزيرة العرب، لما لها من مميزات متمثلة في الموقع الحيوي الذي كثرت فيه المياه الجوفية، وموضع الأرض المنخفض، بحيث كانت لها آبار عديدة ومراع طبيعية. أما موضعها الجغرافي في الوسط بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، فقد جذب إليها القوافل من كل صوب، ما جعلها من دون شك، شريكا ووسيطا فاعلا في تجارة جزيرة العرب آنذاك. ولا بد أن الوضع السياسي لهذه المدينة، وكونها حاضرة لدولة كندة على امتداد خمسة قرون، له دور بالغ الأهمية (الأنصاري ١٩٨٢ : ١٧). وهنا، نشير إلى دراسة تناولت مدينة بات في عُمان، ويؤرخ لها بالألف الثالثة قبل الميلاد، بأن الموضع الإستراتيجي، لا يجذب التجارة ما لم يستتب الأمن في طرق القوافل التجارية، وذلك ببسط الأمن (الماحي ٢٠٠٢). ولهذه المقاربة، أن توضح أن حاضرة دولة كندة، لا بد أنها بسطت الأمن على طرق القوافل الواردة إليها والخارجة منها.

أثبتت التنقيبات والدراسة التي أجريت في الموقع أهمية، «قرية» الفاو الأثرية. فقد كُشف عن آثارها الدالة على العمارة، المتجلية في سوق المدينة والقصر والمعبد والمقابر والمنطقة السكنية. وبرزت معارفها وفنونها وكثافة تبادلها التجاري وتنوعه، من خلال الكشف عن الكتابات والرسوم والتماثيل والخشب والعاج والصناعات المعدنية والمسكوكات والحلي والزجاج والأدوات الحجرية والفخار (راجع: الأنصاري ١٩٨٢).

رسوم صيد الإبل في «قرية» الفاو

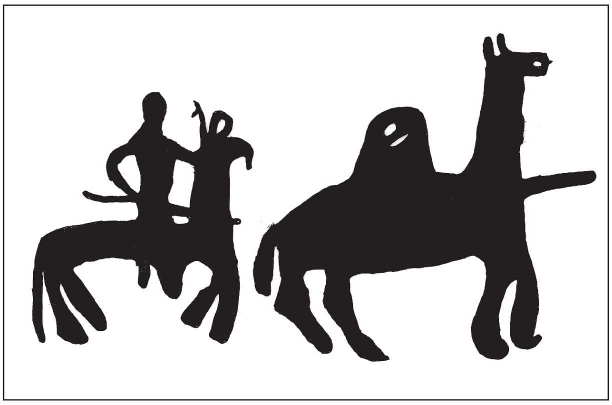
عُثر في سوق المدينة، وفي الدكان السادس في الجهة الجنوبية من السوق على ثلاثة رسوم تصور صيد الإبل. ونفذت الرسوم باللونين الأسود والأحمر على جدران الدكان (الأنصاري ١٩٨٢ : ٢٤)، وقد تم تشخيص هذه الرسوم على النحو الآتي:

الرسم الأول (الشكل ١): رجل يمتطي فرسا، ويطارد جملا مصاباً بسهم، وقد كتب فوق رأس الرجل كلمة «سالم بن كعب» (الأنصاري ١٩٨٢ : ٧٨-٧٩).

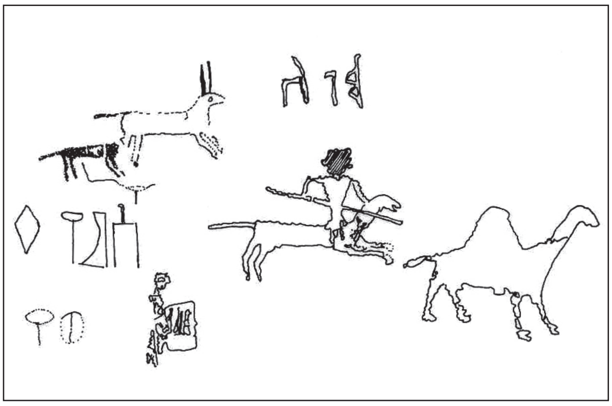
والرسم الثاني (الشكل ٢): رجل يمتطي فرسا، وجمل مصاب بسهم (الأنصاري ١٩٨٢ : ٧٨).

الرسم الثالث (الشكل ٣): رجل يمتطي صهوة فرس، وأمامه جمل. هذا وقد كتب اسم الرجل بالحروف العربية الجنوبية القديمة «مالك» (الأنصاري ١٩٨٢ : ٧٦-٧٧).

هذا، وقد خلصت الدراسة (الأنصاري ١٩٨٢) إلى أن الرسوم في مجملها تعبر عن صيد الإبل البريّة، إضافة إلى رسوم لكلاب وأشكال تجريدية، يتوسطها كلمة «كهل».



الشكل ١: فارس يطارد جملاً، كتب في الرسم «سالم بن كعب». (الأنصاري ١٩٨٢).



الشكل ٢: فارس يطارد جملاً وقد كتب بالعربية الجنوبية القديمة «مالك». (الأنصاري ١٩٨٢).

إن التأريخ للرسوم الأثرية في غياب الكتابة أمر جله من صعاب الأمور. والرسمان اللذان بين أيدينا، كتب عليهما أسماء أصحابهما بالمسند، الأمر الذي سهّل مسألة التأريخ لهما (الأنصاري ١٩٨٢: ٢٣). وهذا يدلل على أن الرسوم تم تنفيذها إبان ازدهار «قرية» الفاو فيما بين القرنين الأول والخامس الميلاديين،.

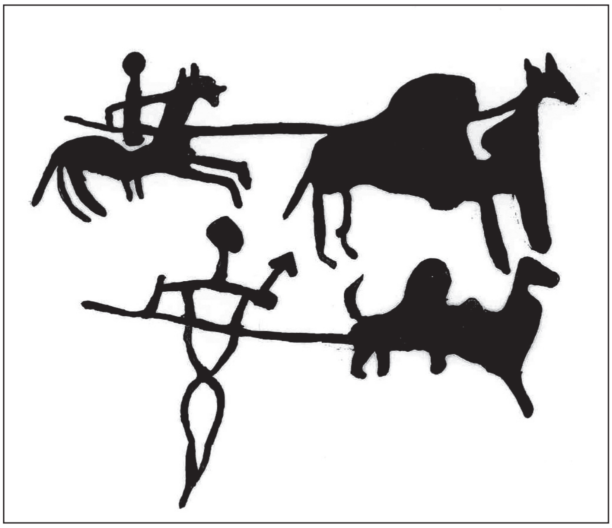
الإبل في الجزيرة العربية الصيد والاستئناس

الإبل جزء من الحياة الفطرية في الجزيرة العربية منذ زمن بعيد، يسبق العصر الجيولوجي المعروف بالهولوسين (منذ الألف العاشر قبل الميلاد وإلى الوقت الحاضر). وتزخر الجزيرة العربية بالعديد من الرسوم الصخرية للإبل، المنتشرة على امتدادها الجغرافي. وأغلب هذه الرسوم تصور الإبل يقودها الإنسان ركوبا أو محملة بأغراض، ما يدل على استئناسها واستخدامها. وموضوع البحث يتناول الإبل البرية أو تلك الرسوم الصخرية التي تصور صيد الإبل. إلا أن هذا الموضوع يتطلب منا وقف وجيزة، لتوضيح أمر في غاية الأهمية.

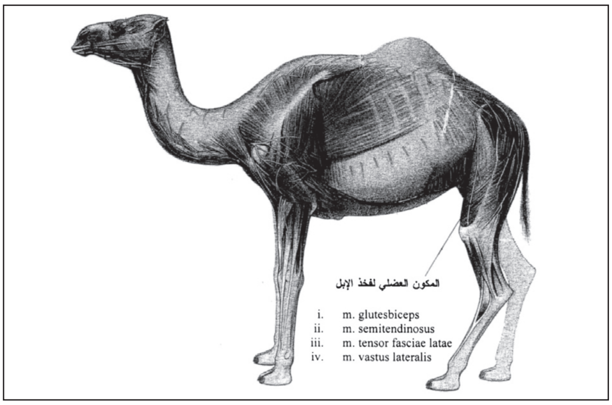
ذكر يعقوب (٢٠٠٢: ٢١-٢٤) أن الرسم الصخري في الشكل (٤) في موقع (١) في وادي المياه بالمنطقة الشرقية في المملكة، رسم لصيد الإبل. وأورد يعقوب (٢٠٠٢:٢١-٢٤) تفاصيل الرسم الصخري، الذي قام بتشخيصه في الآتي:

«ومن اللوحات الفنية في هذا الموقع صيد الجمل، فارس ممسك برمح وممسكا بالفرس من شعر الرقبة (أسلوب عودي)، الساقان متدليان للأسفل وهو متوجه للجمل، الفرس بأربعة أرجل، والرقبة بشعر والذيل مقوس للأعلى به خيوط الشعر أيضا، أما الجمل فهو بسنام كبير وذيل للأعلى أضيف عليه التقويس وشعر الذيل لاحقا (أسلوب عودي) وبجانب الجمل وسم ( )، وتشارك امرأة بلا سلاح في عملية الصيد هذه، وهى في حالة الوقوف على أرجلها وبذراعين مفتوحين على جانبيها للأعلى، ووضوح أصابع الكفين والشعر الطويل على الرأس وبرقبة طويلة (أسلوب عودي) ووضوح عضو التأنيث بين الرجلين وبجانبها وسم () (الشكل ٤)».

وعند فحص هذا الرسم في موقع (١) في وادي المياه، يتضح أنه لا يحمل من الأدلة بأنه لصيد الإبل. فقد أوضح



الشكل ٣: فارس يطارد جملاً، ورجل آخر يطارد جملاً. (الأنصاري ١٩٨٢).



الشكل ٤: المكون العضلي لفخذ الإبل.(After Ashdown and Done. 1984).

الباحث مكدونلد (Macdonald 1990)، بأن معظم هذه الرسومات تعبر عن عمليات الإغارة على الإبل، بقصد سرقتها. كما أوضح أنه يستند على الممارسات القديمة التي كان مسرحها الجزيرة العربية. كما أن ظهور الوسم بالقرب من الإبل مؤشر على أنها حيوانات مستأنسة وليست برية. فالوسم يضعه أصحاب الإبل على حيواناتهم لمعرفتها وتميزها. وهذه ممارسة مستمرة إلى الوقت الحاضر. وعليه، تأتي هذه الإشارات لترجح أن الإبل في هذا الموضع وفي الرسوم الصخرية، إبل مستأنسة.

أقدم الأدلة المتاحة حاليا يعود مرجعها إلى إشارة الباحث جيرومي (Jerome 2006) الذي أفاد أن فريقا أثريا سوريا/سويسريا مشتركا يعمل في سوريا، قد عثر وكشف عن هيكل لبعير ضخم يعود تاريخه إلى ما قبل مائة ألف عام. ويشير الدليل الحالي في السجل الأثري إلى وجود الإبل البرية في النظام البيئي للجزيرة العربية، ويؤرخ لها في بدايات عصر الهولوسين، الذي يعود إلى الألف العاشرة قبل الميلاد (cf. Ripinsky 1975; Zarins 1978 and Grigson 1983). هذا وقد كشفت التنقيبات الأثرية في موقع الصفوة ٢ (Al Sufouh 2) في إمارة دبي بدولة الإمارات المتحدة عن نحو ١٨٠٠٠ قطعة عظم للإبل. كما أرخ نتائج وسيلة كربون ١٤ المشع الموقع لفترة زمنية ممتدة من منتصف الألف الثالثة إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفترة تعود إلى فترتي أم النار ووادي سوق، أي أنها فترة ممتدة بين العصر البرونزي (أم النار) والعصر الحديدي (وادي سوق). هذا وقد شخصت هذه العظام إلى أنها عظام إبل برية، قام الإنسان بصيدها في تلك الفترة.(Driesch et al. 2008).

وآخر الأدلة المكتشفة عُثر عليها في دولة الإمارات العربية، في المنطقة الغربية من أبو ظبي. فقد اكتشف بيتش Beetch وآخرون بقايا هياكل عظمية لإبل يرجح أنها برية. هذا وقد عثر على هذه العظام منتشرة في منطقة مساحتها عشرة آلاف متر. كما يشير المسح الأثري لهذا الموقع إلى أن العظام تعود في الأصل لما يزيد عن الأربعين حيوانا. أرخ لهذه العظام بواسطة الكربون المشع، فجاءت نتائج هذا الفحص لتؤرخ لهذه الإبل البرية في النصف الثاني من الألف الخامسة قبل الميلاد (Beech et al.2009:17-30).

والدليل الحالي للإبل ينقسم إلى قسمين. أولهما الرسوم الأثرية، وثانيهما الدليل المادي المتمثل في عظام الإبل. هذا، وقد أخذ الباحث زرنس (Zarins 1989:125-155) بالتسلسل الزمني للرسوم الصخرية الذي وضعه أنيتي (Anati (1962,1968,1970,1972,1974,1979، والباحث تقيرنوف (Tchernov (1974، ثم أحدث فيه تعديلا، لإدخال بعض الرسوم عليه من الجنوب الغربي للجزيرة العربية لتلائم وتوافق الدليل الفني والدليل المادي في ذلك الحيز من الجزيرة العربية. هذا، وقد قام الباحث زرنس بتحديد هذا التسلسل الزمني وتسمية الفترات الخاصة به (cf. Zarins 1989: 144; Fig. 14.1). وأهم ما في هذا الأمر هو ربط هذه الأدلة بتسلسل زمني في مراحل مختلفة، كل منها يعكس فترة تقنية وثقافية وتاريخية. ويمكن استعراض هذا التسلسل في الجدول الآتي:

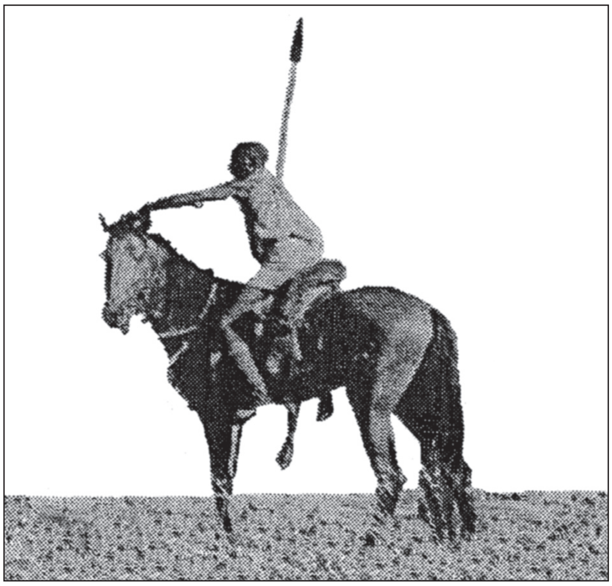
المرحلة	الفترة	التاريخ
الأولى	الصيادون الأوائل	٦٠٠٠- ٣٥٠٠ ما قبل الميلاد
الثانية	الرعاة الأوائل	٣٥٠٠- ١٩٠٠ ما قبل الميلاد
الثالثة	ما قبل الكتابة	١٩٠٠- ٥٠٠ ما قبل الميلاد
الرابعة	الكتابة العربية الجنوبية	٥٠٠ ما قبل الميلاد -٦٥٠ ميلادي
الخامسة	الإسلام	٦٥٠ ميلادي - الحاضر

القراءة الثانية

إن ما نقدّمه هنا هو محاولة لتسليط الضوء على جوانب متعلقة بعناصر الرسم الواحد ومكوناته، ما يمكننا من شرح احتمالات تفسير الرسم على شاكلته، وتشخيصه إلى ما هو أقرب إلى المقبول عقلاً ومنطقاً. وعادةً ما تكون قراءة الرسوم الأثرية، محاولة لفهم ما أراد الرسام القديم أبلغه، وما يرمي إليه برسمه، وتقديمه إلى مَن يشاهد عمله. إذاً، ما تسعى إليه قراءة الرسوم الأثرية، لا يعدُّ إثباتا قطعيا، بل شرحاً لما يمكن الاستدلال به، ووصولاً إلى ما يحمله الرسم من فكر. وعليه، يمكن القول إن ما يسعى هذا البحث إليه، ليس الحكم في أن تشخيص الرسوم المذكورة لصيد الإبل البرية، ولا الحكم بأنها الدليل القاطع لذلك من عدمه، إنما هو محاولة لتعزيز فهمنا للدليل الذي بين أيدينا، والنظر في الاحتمالات المختلفة التي يحملها هذا الرسم. ويجب أن نوضح أمرا مهما قبل أن نبدأ في ما هدفنا إليه.

والأمر هنا أن نأخذ في قراءتنا للرسوم الأثرية بالنهج المعروف باسم اللقطات (The Snap Shot Method cf. ElMahi 2000 and 2001). وهذا المنهج يأخذ بمفهوم اللقطة التصويرية الواحدة في شريط سينمائي. وكما هو معلوم فإن الشريط السينمائي، ما هو إلا مجموعة من اللقطات المنتظمة والمتراصة، بحيث إذا أسرع عرضها تظهر الحركة متكاملة، لما تحتويه من نشاط ممتد زمنياً، وفي مكان معين. وعليه، نأخذ بالمشهد الواحد في الرسوم الصخرية على أساس أنه لقطة واحدة أو مشهد واحد فقط، التقطه الفنان من مجموعة مشاهد ممتدة، حدثت وشغلت حيزا زمنيا ومكانيا في الماضي. وعليه، فقد اختار الفنان من ذلك الحدث الممتد، وعبّر عنه في ذلك المشهد الذي رسمه، ليمثل به الحدث الرئيس الممتد فيه زمنياً وفي حيز أو موضع بعينه. إذاً، فالرسوم واللوحات الأثرية، ما هي إلا لقطة واحدة من نشاط ممتد، اختار منه الفنان نموذجاً واحداً من ذلك النشاط الممتد.

ولكن قبل أن نعود لاستعراض الاحتمالات وتفسيرها يجب الإشارة إلى الرسم الثاني في الشكل (٢) (الأنصاري ١٩٨٢: ٧٨)؛ هذه اللوحة تحمل رسماً لرجل يمتطي فرساً، وجملاً مصاباً برمح، إلا أن هناك رسماً أسفله لرجل يحمل رمحاً خلف جمل. وهذا الرسم لم ترد له إشارة في ما ورد في مرجع «قرية» الفاو (الأنصاري ١٩٨٢).



الشكل ٥: صياد زراي من قبيلة الحمر في السودان (After Cnnison 1958)

الاحتمال الأول

الرسوم التي بين أيدينا في كل حالة من الرسم، تصور رجلاً يمتطى فرساً وأمامه إبل تركض، وقد أصابها. والتفسير الأول والمباشر لهذه الرسوم، هو التفسير الذي ذهب إليه الأنصاري (١٩٨٢)، بأن الرسم يصور قتل الإبل وصيدها.

وما يبدو ضمنيا من هذا التفسير أن الإبل برية، ومن ثم، فإن الإبل البرية كانت متواجدة في بيئة الجزيرة العربية. وضمنياً أيضا يترتب على ذلك أن الإبل البرية، من جملة صيد البر، الذي كان يخرج إليه أهل الجزيرة العربية آنذاك أي خلال فترة ما بين القرنين الأول والخامس الميلاديين. والرسم هنا، يتضمن في الوقت نفسه إشكالية؛ فالرسام القديم لم يرسم بوضوح ما يمكن أن نميز به أن الإبل برية. ثم تأتي قضية النسبة والتناسب، التي لم يعرها الرسم الاهتمام، ما يجعلها مسألة يصعب الجزم فيها. فلا ندري إذا ما كان الرسام القديم، قد أخذ بالنسب في أحجام الأشياء التي يرسمها، ما يتناسب مع واقعها الحقيقي.

وهذه إشكالية في الرسوم الأثرية.

من ناحية أخرى، يتطلب الأمر منا الوقوف هنيهة في هذا المقام، الخاص بالإبل البرية؛ فالمعلومات المتاحة لنا الآن عن تاريخ الإبل البرية محدودة للغاية. واليوم لا توجد إبل برية في العالم، ولا نعرف بدقة، متى قضي على آخرها. وترتب على ذلك أن الإبل البرية لم تدرس حتى نعرف شيئاً عن سلوكها، وبيئتها، وتكاثرها، وتأقلمها البيئي وغيره من الجوانب المتعلقة بها. والسؤال المهم هنا، هل كانت هنالك إبل برية في الجزيرة العربية خلال القرن الأول والخامس الميلاديين؟ وبالطبع، لا توجد أدلة أثرية من الجزيرة العربية أو من بيئة جغرافية أخرى تجيب عن هذا السؤال بالنفي أو الإيجاب. ولكن يمكن القول إن وجود الإبل من الناحية البيئية، أمر وارد، فهي كانت في الأساس جزءاً لا يتجزأ من الحياة البرية والنظام البيئي القائم خلال عصر الهولوسين. وانطلاقا من نتائج حفريات موقع الشومة Ash-Shumah في منطقة تهامة Tihamah باليمن، يشير الباحثان كاتني وبوكوني (Cattani and Bokonyi 2002:33) إلى أن قطعانا كبيرة من حيوانات الصحراء ذوات الحوافر، والحمير، وطائر النعام، كانت تجوب مناطق السهول الفسيحة بين الأنهار وبموازاة سفوح الجبال خلال فترة الهولوسين المبكر. ويؤكد الباحثان (Cattani and Bokonyi ibid.) على أن استغلال الإنسان المتزايد في بدايات الألف الخامس قبل الميلاد، ترتب عليه تقليص كبير لوجود كائنات الصحراء في عموم الجزيرة العربية. وأن نتائج المسح الأثري الذي قاما به تشير إلى أن بقايا قشر بيض النعام متوافرة بكميات كبيرة في مواقع الألف الثامن قبل الميلاد، وأن بقايا عظام الحمير متوافرة أيضاً بشكل كبير حتى ٥٥٠٠ قبل الميلاد.

ومن ناحية أخرى، وفي السياق نفسه، تشير الباحثة (Cullton-Brock1980:126) إلى أن هناك إشارات في الكتابات الكلاسيكية، تؤكد وجود الإبل البرية في غربي آسيا خلال الألف الأولى قبل الميلاد. وإضافة إلى هذا يشير أيضا الباحث برنت Brent إلى أن الإبل البرية في العالم قد انقرضت جميعها قبل ألفي عام (http://www.ultimateungulate.com/Artiodactyla/Camelus_dromedarius.html (7.7.2009.

وعليه يمكن القول إن وجود الإبل البرية في الجزيرة العربية، أمر وارد، خاصة إذا ما وجدت هذه الحيوانات في مناطق نائية بعيدة عن مواضع المجتمعات القديمة ومساراتها. كما يمكن القول إنه لا غرابة في وجود الإبل في الجزيرة العربية خلال القرن الأول والخامس الميلاديين في بيئة جزيرة العرب. وهذا يعني تزامن المستأنس من ذات النوع مع البري منه. وهذا الوضع يمكن التماثل بينه وبين وضع الحمار النوبي Equus nubiana في شمالي السودان. فقد اتضح أن هنالك وادياً وعراً، يسمى باسم «وادي الحمار» نسبة لوجود الحمار البري النوبي فيه. وكان مربو الحمير في مدينة بربر، في شمالي السودان، وحتى عام ١٩٤٠م، يأخذون عددا من الحمير (إناث)، ويتم ربطها في الوادي حتى يأتي إليها ذكور الحمير البرية، فتتزاوج معها. أما ثمرة هذا التزاوج، فقد كان يباع بأعلى الأسعار في أسواق مدينة بربر.

ما قصدنا إليه من هذا المثال، هو أن الحمار النوبي البري Equus nubiana الذي استأنسه الإنسان حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد، ظل هذا الحيوان البري موجودا في شمالي السودان حتى الأربعينيات من القرن الماضي حيث تعامل معه سكان المنطقة. وعليه، يمكن القول إن وجود الإبل البرية خلال القرن الأول والخامس الميلاديين في بيئة الجزيرة العربية، أمر ممكن حدوثه، وأن الإنسان آنذاك عمل على صيده أسوة بحيوانات البرية الأخرى.

الاحتمال الثاني

الاحتمال الثاني يرجّح أن يكون الرسم يصور مشهدا لقتل إبل أو صيدها، نفرت من الإنس وتوحشت (Feral وحشي). وتحول الإبل المستأنسة إلى إبل متوحشة، أمر معروف ومجرب ومعروف عنها، مثل ما هو معروف عن العديد من الحيوانات المستأنسة الأخرى مثل الحمير (ElMahi 2004). واليوم يوجد نحو نصف مليون من الإبل المتوحشة، بعد استئناسها في أستراليا. وحقيقة هذه الإبل، أنه قد تم جلبها إلى أستراليا، لركوبها وحمل الأمتعة والأغراض، إلا أن أصحابها قد زهدوا فيها، ولم تعد لهم فيها منفعة بعد مرور فترة من الزمان، فأخلوا سبيلها في

البرية، فتأقلمت وتكاثرت، بل زادت أعدادها بشكل كبير في أواسط أستراليا. وعليه، فإن هذه الحيوانات هي كل المتاح وما تمت دراسته مؤخرا عن الإبل التي توحشت بعد استئناس Feral camels

(cf. http://www.nt.gov.au/nreta/wildlife/animals/feral/camel.html 7.7.2009).

كما أن أخبار الإبل التي توحشت، ليس بالغريبة عن الجزيرة العربية. فقد جاء في السنّة النبوية الشريفة عن رافع بن خديج قوله: وأصبنا نهب إبل وغنم فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش، فإذا غلبكم منها شيء فاصنعوا به هكذا». أوابد الوحش التي نفرت من الإنس وتوحشت.

وهنا، يجب أن نفرق بين إبل برية وبين إبل نفرت وسلكت سلوك الوحش، وخرجت عن طوع الإنسان، وعاشت لفترة طويلة في البرية، فعادت تدريجيا إلى حالة التوحش واستردت سلوك أسلافها وحالها قبل استئناسها. ويتطلب الأمر هنا شرح عملية استئناس الحيوان من منظور بيئي، حتى يتسنى لنا فهم سلوك الإبل البرية والوحشية feral منها. ويمكن تعريف عملية استئناس الحيوان، بأنها قيام الإنسان بعزل حيوان معين عن بيئته الطبيعية، ووضعه في بيئة صناعية. وتحت قيد هذه البيئة الصناعية، أصبح الإنسان المصدر الوحيد الذي يرعى أمن وطعام وشراب هذا الحيوان. هذا، ومع تناسل هذا الحيوان في الأسر، ظهرت أجيال فاقدة لغريزة «نزعة الفرار» Flint instinct و«نزعة مسافة الفرار» distance Flight، فأصبحت حيوانات مروضة، تسمح للإنسان بلمسها، ولا تنفر منه. ثم ذهب الإنسان إلى أبعد من ذلك، فسيطر على تناسلها، وذلك بأن أصبح ينتقي حيوانات ذات صفات معينة للتناسل، دون غيرها، تدعيما وتعزيزا لهذه الصفات في جميع حيوانات القطيع. وكانت النتيجة أن ظهرت حيوانات مستأنسة تحمل مواصفات تغاير وتخالف فيها أسلافها في البرية (الماحي ٢٠٠١: ٣١–٣٤).

إن عملية الاستئناس هي اختيار وانتقاء لصفات معينة في الحيوان البري، وهذا ما يعرف بالانتقاء الصناعي artificial selection، أسوة بالاختيار الطبيعي الذي يحدث في الطبيعة التي تختار أفضل الصفات للكائن حتى يتمكن من البقاء (Odum 1980). وعليه، فاستئناس الحيوان هو تغيير في شكل الحيوان وسلوكه. وبمعنى آخر، هو تغير أحيائي وسلوكي، بالقدر الذي يجعل الحيوان المستأنس مختلفا عن الحيوان البري. وبترويض الحيوان ثم استئناسه، يفقد الحيوان أهم غريزتين، وهما غريزة الفرار وغريزة اللمس. فالغريزة الأولى تجعل الحيوان يفر من أي كائن آخر، وهي غريزة دفاعية. أما غريزة المسافة، فهي أيضا غريزة دفاعية، تجعل الحيوان يفر إلى مسافة بعيدا عن أي كائن آخر لمسافة معينة، ثم يقف ليراقبه، جاعلا هذه المسافة بينهما لتسمح له بالفرار، إذا ما تقدم هذا الكائن الغريب نحوه مرة أخرى. ولا تكتمل عملية الاستئناس إلا بعدما يسيطر الإنسان على تناسل الحيوان. ويتم ذلك حينما يمنع حيوانات من التزاوج بينما يسمح لأخرى بعينها من التزاوج. والهدف من هذه الممارسة، تكمن في رغبة الإنسان في نقل صفات معينة تتميز بها هذه الحيوانات إلى المواليد، ومن ثم إلى كامل القطيع. وهذه الممارسة تعرف بالاختيار الصناعي artificial selection، وهي التي تسببت، وعبر جيل بعد جيل، في ظهور حيوانات تحمل صفات مختلفة عن أسلافها في الشكل والسلوك وبعض الصفات الأحيائية. وهكذا، ظهرت حيوانات ذات أشكال وألوان مختلفة عن أسلافها، ومذلَّلة للإنسان الذي سخّرها لخدمة أغراضه المختلفة.

وعليه، هنالك احتمال كبير في أن الرسوم الأثرية موضوع بحثنا هذا، مشاهد لصيد إبل نفرت وتوحشت، وأصبح الخروج إليها وصيدها، أمرا معروفاً» وممارسة معهودة بين أهل «قرية» الفاو وغيرهم في جزيرة العرب.

وسائل صيد الإبل

يحتوي الدليل الأثري، وخصوصا الفني منه على رسوم صخرية، ولوحات ملونة (رسوم «قرية» الفاو الأثرية). وهذه الرسوم، قد تحتوي على ما يعيننا على فهم وتشخيص بعض من الوسائل المتبعة قديماً في صيد الإبل. فإذا ما فحصنا الرسوم الصخرية، واستعنا بالتسلسل الزمني الذي أقترحه الباحث زرنس (Zarins 1989: 144; Fig. 14.1)، يمكننا

الخروج ببعض الإشارات المفيدة في تشخيص وسائل صيد الإبل. ولكن لنبدأ بالدليل المادي الأثري أولا، ثم نعكف على الدليل الفني لاحقا. ويجب أن نأخذ في الاعتبار، قبل فحص الرسوم الصخرية واللوحات الأثرية، أنها في حقيقة الأمر لقطات واحدة من نشاط أمتد في الزمان والمكان، وأن الفنان في فترات ما قبل التاريخ، قد اصطفى مشهدا واحدا، ليمثل به ذاك النشاط الممتد (cf. ElMahi 2000 and 2001). وفي الآتي نستعرض هذه الأدلة:

[١]

عثر في دولة الإمارات العربية على عظام لإبل يقدر عددها بما يفوق الستين حيوانا. كما عثر معها على رأس سهم من الصوان. ويعود تاريخ هذا الاكتشاف إلى الألف الخامسة قبل الميلاد(Beech et al.2009:17-30). ويرجح أن الإبل برية، استنادا إلى تاريخ عظام الإبل في الألف الخامسة قبل الميلاد، كما أن لرأس السهم الصواني دلالاته في الصيد، إذا ما أخذ في الاعتبار.

[٢]

في منطقة بير حما (site 217-35C) بالمملكة العربية السعودية، رسم صخري لجمل مصاب بثلاثة رماح طويلة، خاصة إذا ما قورنت أطوال الرماح بقامة الجمل. هذا وقد أرخ زرنس لهذا الرسم على أنه يعود لفترة المرحلة الأولى (الصيادون الأوائل في ٦٠٠٠- ٣٥٠٠ ما قبل الميلاد) أو المرحلة الثانية (الرعاة الأوائل في ٣٥٠٠- ١٩٠٠ ما قبل الميلاد) من التسلسل الزمني الذي اشرنا إليه سابقا (Zarins 1989: Figs. 7, 14). وبهذا، يرجح أن تاريخ هذا الرسم يعود إلى أي من المرحلتين المشار إليهما. وما نسعى لبيانه هنا هو أن الصيد قد تم برماح طويلة أو سهام كما سيتضح من الرسوم.

[٣]

وفي منطقة بير حما مشهد يوضح صيد هذه الحيوانات البرية. فهناك رسم صخري يوضح إبلا وطائر النعام وحيوانا من آكلات العشب الكبيرة (Anati cf 1968b: Fig. 4). والرسم يوضح هذه الحيوانات مصابة بما يشبه الرماح الطويلة، إذا ما أخذ في الاعتبار نسب أطوال الرماح لأطوال السهام.

[٤]

رسم آخر من منطقة بير حما (site 217-23B) بالمملكة العربية. الرسم لرجل يحمل سهاما تعرف باسم transverse arrowhead (Zarins et al. 1981: 35 and Plate 34F)، ورمحا في اليد الأخرى. وفي المشهد جملان وكلب، ما جعل الباحث زرنس Zarins et al ibid). يشخص الرسم على أنه رسم لصيد الإبل.

[٥]

رسم صخري لصيد الإبل من منطقة جبل كوكب (cf. Anati 1968b: Fig. 2). يوضح رجلا يحمل قوسا وسلاحا آخر غير موضح، وهو في مواجهة إبل. هذا الرسم شخصه الباحث أنتي (Anati ibid.)، وأكد عليه الباحث زرنس (Zarins ibid.).

وبفحص الرسوم الصخرية، وممارسات المجتمعات التقليدية التي تصطاد بالسلاح الأبيض (الرماح والسهام)، يتضح لنا أن صيد الحيوانات البرية يتطلب أكثر من السهام والرماح.

كما يتضح أيضا أن صيد حيوان كالإبل من حيث الحجم والسرعة والقوة، وبالأسلوب الذي تصوره الرسوم الأثرية في «قرية» الفاو الأثرية، يتطلب إمكانيات وتدابير معينة لاكتمال عملية الصيد بنجاح. وإذا افترضنا أن الإبل التي صورتها الرسوم الأثرية برية كانت أو متوحشة، فإن هنالك عدة حقائق نأخذها في الحسبان تخص الحيوان وبيئته.

أولا:

معروف أن سلوك الحيوانات البرية والمتوحشة تحكمه غريزتا «نزعة الفرار» Flint instinct و«نزعة مسافة الفرار» Flight distance اللتان أشرنا إليهما سابقا. فالحيوانات التي يكون سلوكها بريا، تنفر وتهرب بمجرد رؤية الإنسان أو أي كائن آخر. ولاختبار هذا الأمر نفذ كاتب هذا البحث تجربة على سلوك الحمير التي توحشت بعد استئناس في عُمان في عام ٢٠٠٣م، وذلك لاختبار تحكم غريزتا «نزعة

الفرار» ونزعة «مسافة الفرار» في سلوكها. هذا وقد نفذت التجربة على مجموعات مختلفة من الحمير المتوحشة، وفي أنحاء مختلفة من عُمان. وكانت النتيجة في جميع الحالات تدلل على أن هذه الحيوانات قد استردت الغريزتين اللتين فقدتهما من خلال عيشها في البرية، بعيداً عن سيطرة الإنسان (ElMahi 2004)؛ فوضوح الدلالة في سلوكهما خلال التجربة، وصواب الإشارة في ردود أفعالها النافرة من الإنسان، تقربنا من فهم سلوك الإبل البرية أو المتوحشة.

ومن ناحية أخرى، اتضح أن الإبل المتوحشة Feral في أستراليا، ليست إقليمية في سلوكها Territorial، ولا تحتكر منطقة بعينها لترعى وتتناسل فيها. بل إنها تعيش في مناطق محددة بمدى ٥٠-١٥٠ كيلو متراً، وتتنقل وفقاً للمواسم وتغيراتها. ويُفهم من هذا السلوك، أنها لا تعيش في إقليم محدد، مثلما تفعل الكثير من الحيوانات البرية (Klingel 1985). وعليه، لا يستبعد الاستنتاج أن تكون الإبل المتوحشة Feral في الجزيرة العربية، خلال القرن الأول والخامس الميلاديين مماثلة لوصيفاتها من الإبل المتوحشة في أستراليا.

ثانيا:

لعل التركيبة الاجتماعية للإبل البرية، يمكن توضيح مضمونها مما تم دراسته وتوثيقه في دراسة الإبل المتوحشة في أستراليا. وتعيش الإبل المتوحشة الآن في أستراليا في تركيبة القطيع الذي يشتمل على ذكور وإناث وصغار. وعليه، لا يستبعد أن تكون الإبل البرية قد عاشت في تركيبة مماثلة، لتلك التي اتخذتها الإبل المتوحشة أي تركيبة لمجموعة يقودها ذكر ومجموعة من الإناث والصغار.

ثالثا:

تقع «قرية» الفاو في منطقة تعرف جغرافيا بمنطقة الوسط والشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية. وكانت هذه المنطقة (المنطقة الوسطى والشمال الغربي من الجزيرة العربية) خلال عصر الهولوسين (الألف العاشرة قبل الميلاد)، جزءا لا يتجزأ من الإقليم المعروف باسم الإقليم الإثيوبي The Ethiopian Realm الذي تخللته فترات مطيرة، وعُرفت الحيوانات فيه بالحيوانات الإثيوبية. (cf. Wallace 1876: S718) The Ethiopian fauna . هذا، وتجدر الإشارة إلى أن الصحاري العربية لها نصيب من بين حيوانات الإقليم الإثيوبي (أبو الفتح ١٩٩٧: ١١٠) و(Wallace ibid.) و(De Laubenfels 1970; 25-69).

وحالياً تعد المنطقة التي تقع فيها «قرية» الفاو جغرافيا وبيئيا من المناطق الجافة وفقاً لتصنيف الصحراء على أساس كمية الأمطار (أبو الفتح ١٩٩٧: الشكل 7 & 1975 cf. Eckholm.) ومعروف أن المناطق الجافة، تكون أمطارها قليلة وغير منتظمة، ولا تتجاوز ١٢٥ ملم سنوياً. ونباتاتها من النباتات المعمرة والتي تنمو في جانبي الوديان والأراضي المنخفضة (أبو الفتح ١٩٩٧: ٢٥). أما الغطاء النباتي، فهو تابع لنباتات الأراضي الحجرية والصخرية والحصوية والرملية، التي تكثر في الوسط والشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية. هذا، وقد جمع الباحث أبو الفتح (١٩٩٧: ٩١) أسماء النباتات المتوافرة في هذه المنطقة البيئية، المشار إليها في الآتي من عدد كبير من المراجع:

Anabasis articulata, Astragalus spinosus, Erodium glaucophyllum, Fagonia spp., Gymnocarpos decander, Halogeton alopecuroides, Helianthemum kahiricum, Stipa sp., Reseda muricata, Salsola tetrandra, Salvia lanigera, Traganum nudatum, Zilla spinosa.

وحقيقة أن معلوماتنا عن حالة المناخ والظروف البيئية خلال القرن الأول والخامس الميلادي محدودة، باعث على الاعتقاد بأن الإبل البرية والتي عثر على أدلة أثرية وفنية لها في الجزيرة العربية، قد عاشت في ظروف بيئية إن لم تك أفضل فهي مشابهة لها. كما أنه ليس من المرجح لحيوان كبير الحجم كالإبل، ومتوحش Feral، ويعيش في مجموعات (قطيع)، أن يكون لها أعداء طبيعيون، عدا الإنسان في بيئة مثل بيئة الجزيرة العربية. وفي ظل هذه المعطيات، يكون من المرجح أن ظروفا بيئية مماثلة هيأت العيش للإبل برية أو متوحشة Feral، في هذه الواقع البيئي معتمدة على مقدراتها على التأقلم والعيش في البيئات الجافة.

وإذا كانت دقة هذا المدخل قد أوضحت شيئا عن الظروف البيئية خلال القرن الأول والخامس الميلاديين في

منطقة «قرية» الفاو، فإن متطلبات عملية صيد الإبل تلزمنا بالوقوف عندها.

فللصيد على اختلاف أنواعه متطلبات وتدابير. وصيد الإبل برية أو متوحشة Feral، ومن على صهوة حصان، وبسلاح أبيض (سهام ورماح)، يتطلب نجاحه مجموعة من المتطلبات والتدابير الأساسية، مثلما هو الحال، إذا كان الصيادون راجلين. فالأمر أكثر بكثير من رجل يمتطي حصاناً ويطارد حيواناً برياً. واستعراض هذه المتطلبات والتدابير، قد يعيننا في فهم الأسلوب الممكن لصيد إبل برية بمثل الأسلوب الذي تعكسه لنا الرسوم في «قرية» الفاو.

أول هذه التدابير، هو أن يكون هنالك أكثر من فارس أو صياد راجل يشترك في عملية الصيد، فالأمر لا يستقيم بعدد قليل من الفرسان أو الرجال مهما بلغت قدراتهم. فالصيد الذي يستعمل فيه السلاح الأبيض، لا يؤتي ثماره إلا باشتراك عدد كبير من الصيادين سواء كانوا فرسانا أو راجلين.

ثاني هذه التدابير، إذا كان الصيادون على أقدامهم، فعليهم أن يطاردوا الحيوان بعيدا عن السهول والأراضي الممتدة الفسيحة، بحيث يتم دفعه وطرده إلى الوديان الضيقة أو ما بين التلال، فتتم محاصرته ثم الهجوم عليه. والأساس في هذا التدبير هو أن يقترب أكثر من صياد من الحيوان بحيث يستطيعوا أن يتمكنوا من أصابته. وعليه يتطلب هذا النوع من الصيد جغرافية وتضاريس معينة، ليتمكن الصيادون من محاصرة الحيوان في موضع معين، والاقتراب منه لكي يصيبوه في مقتل أو يقوموا بتعطيله.

أما إذا كانوا على ظهور الخيل، فينتشرون في فرق صغيرة، ويتبادلون مطاردة الحيوان حتى يتم إرهاقه، والوصول إليه، ثم إصابته (cf. ElMahi 2001). ففي حالة صيد الإبل مثلما تم تصويره في «قرية» الفاو، يحتاج الفارس إلى الوصول إلى الإبل والاقتراب منها. فالإبل تستطيع أن تركض بسرعة قد تصل إلى ٦٥ كيلومتر في الساعة لمسافة قصيرة، وتحافظ على سرعتها في ٤٠ كيلو متر في الساعة (Wikipedia، the free encyclopedia). وملاحقة حيوان تسيطر عليه غريزة «نزعة الفرار»، أمر شاق ويحتاج تنظيماً دقيقاً، ينفذه أكثر من فارس.

وثالث هذه التدابير، أمر مهم، وهو السلاح المستخدم في مثل هذا الصيد. فقد تم تشخيصه في الرسوم على أنه سهام (الأنصاري ١٩٨٢: ٧٦-٧٩). وهذا يقودنا إلى تسليط الضوء على مواضع الإصابة في الإبل ومقاتلها. فالإصابة عادة، إما أن تكون في مقتل أو في موضع يعطل الحيوان عن الحركة مباشرة، أو بعد حين. هكذا عمل الصيد وعمد أهله. ولعل الشكل (٤) يوضح المواضع التي يمكن إصابة الإبل فيها.

ولتوضيح عملية الصيد بهذا الأسلوب، علينا أن نبحث في سجل المجتمعات التقليدية التي مارست صيدا من هذا القبيل. وأكثر السجلات حضورا، في هذا الموضوع هو لقبيلة عربية في أواسط غربي السودان. فقبيلة الحمر كانت تمارس صيد الزراف بهذا الأسلوب حتى الستينيات من القرن الميلادي الماضي (Cunnison 1958). فقد كان شباب قبيلة الحمر البقارة العرب، يخرجون في جماعة على ظهور خيلهم المدربة لهذا النوع من الصيد والمطاردة، وكل واحد منهم يحمل رمحاً طويلاً (الشكل ٥). وطول الرمح الواحد ما بين ١٠-١١ قدماً، أي أن طول الرمح يزيد على ثلاثة أمتار (Cunnison 1958:53). وينقسم الفرسان إلى مجموعات صغيرة للبحث عن الزراف بحيث يفضل مطاردته في المناطق المكشوفة والسهلية. ويخبرنا الباحث كنيسون (.Cunnison ibid) أنه حينما يشاهد الفرسان الزراف، يقومون بتقييم طبيعة الأرض، بحيث لا تبدأ المطاردة، إلا بعد موافقة جميع الفرسان. ثم ينطلق الفرسان وكل فارس يمسك الرمح بيده اليمنى.

والفارس لا يرمي الزرافة برمحه، بل يقترب من الزرافة الراكضة، ويقوم بتحويل الرمح الطويل إلى اليد اليسرى، ممسكا الرمح بيديه الاثنتين، ثم يقوم بطعن الزرافة بقوة في الفخذ الخلفي. والسبب في ذلك هو أن القوة القاذفة بالرمح لا يمكن أن تصيب حيوانا مثل الزراف في مقتل، وهذا الحيوان في حالة من الجري السريع والمراوغة. وعليه، يجب أن يقترب الفارس من الزرافة على قدر المستطاع حتى يتمكن من أن يعمل رمحه الطويل فيها وفي الفخذ. ومما لا

شك فيه فإن الطعنة التي تتلقاها الزرافة في الفخذ، وهو عضو مهم وعريض وهدف سهل، وعضو معطل للحيوان إذا ما أصيب.

وبالنظر في تدابير صيد النعام في المجتمعات التقليدية في السودان (cf. ElMahi 2001) وصيد الزراف عند قبيلة الحمر (cf. Cunnison 1958)، نخلص إلى أن إصابة حيوان وصيده كالإبل من حيث الحجم، والسرعة، والسلوك، والقوة، يتطلب عدة تدابير لا بد لفارس مثل «سالم بن كعب» صاحب اللوحة الأولى، و«مالك» في اللوحة الثالثة في «قرية» الفاو، قد عملا بها أو بتدابير مماثلة لها. ويمكن حصر هذه التدابير في الآتي:

[١] مطاردة الحيوان ودفعه إلى الأراضي السهلية المنبسطة.

[٢] تناوب الفرسان في مطاردة الحيوان؛ لإرهاقه، ومحاصرته، مثلما يفعل في صيد طائر النعام (cf. ElMahi 2001).

[٣] المطاردة والاقتراب من الحيوان، بحيث يمكن طعنه برمح في مقتل، أو يتم تعطيله، فالفارس لا يستطيع أن يحمل معه في مثل هذه المطاردة أكثر من رمح واحد.

ومما لا شك فيه أن الفخذ هدف سهل للفارس، لأنه عريض، ما يجعله هدفا سهلا. كما أن الطعنة الواحدة التي يتلقاها حيوان كالإبل في الفخذ، كفيلة بتعطيل حركة الحيوان، ومقدرته على الجري، والفخذ عضو معطل للحيوان إذا ما أصيب، فالتفاصيل التشريحية لفخذ الإبل يمكن وصفها وفقا للشكل (٤) الذي يوضح الآتي:

المكون العضلي لفخذ الإبل يتكون من أربع عضلات رئيسة تمثل واجهة الفخذ هي (cf. Ashdown and Done 1984: 6.4- 6.5):

m. glutesbiceps

m. semitendinosus

m. tensor fasciae latae

m. vastus lateralis

هذه العضلات تغطي الأعصاب والأوعية الدموية، وإصابتها يترتب عليها نزيف حاد، وتعطيل لوظائف الأعصاب، ما يؤدي إلى تعطيل حركة الحيوان، ومن ثم توقفه عن الجري، مثلما يحدث للزرافة حينما تتلقى طعنة من فارس الحمر في السودان. والمماثلة هنا واضحة فالزراف والإبل متشابهان في الحجم والتكوين.

وعليه يتضح أن الفخذ يعد موضعا حساسا يمكن أن يعطل حركة الحيوان، إذا ما أصيب. كما أنه هدف سهل، وفاعل لكل من يصطاد الإبل البرية في الماضي.

[٤] كما يبدو أن الكلاب قد استعملت في مطاردة الإبل، مثلما جاء في رسوم «قرية» الفاو الأثرية. ولكلاب الصيد دور مهم في مطاردة الطريدة وإرهاقها في منطقة فسيحة وممتدة، مثل بيئة الجزيرة العربية وتضاريسها.

رمزية رسوم الصيد

ظل الصيد منذ العصور الحجرية، مهمة الرجال وحال شأنهم. هذا وقد برع الإنسان في صنع ثقافة للصيد، تبرز رجولة الصياد وقوته ومقدراته. فالمجتمعات التي تجاوز في نموها الصيد، كوسيلة من وسائل العيش، اتخذت منه وسيلة للترفية والتفاخر. كما ارتبط الصيد ارتباطا وثيقا بالأغنياء والنبلاء والملوك. وقد وصف سوراتيس (Surtees 1843:299:1) الحرب بقوله: «الصيد حرب لا ذنب فيها، ومحدودة المخاطر، وهي رياضة الملوك».

ولا غرابة فقد أضفى التحوّل الاقتصادي/السياسي على الصيد رمزية ومكانة خاصة في جميع الثقافات الإنسانية، وبخاصة بعد نهاية اقتصاديات الصيد وجمع الثمار في العصور الحجرية.

وجاء دور الفن، ليجسد فكر المجتمع، وما ينشده من صفات وخصال، تزين الرجال جسارة ومرتبة. فأتاح الفن المجال وأفرد مساحة رحبة لتفاخر الإنسان في تصوير مطاردة الحيوان وقتله. وهكذا أضحى إبراز مشاهد الصيد

فناً تنشده شرائح بعينها في المجتمع؛ فالصيد يرمز إلى الانتصار والفوز والقوة والمكانة.

ولذا، نجد العديد من اللوحات الفنية المختلفة تبرز الملوك والنبلاء في رحلات الصيد والقنص، وهم ينالون من حيوانات مختلفة. ونأخذ أمثلة لهذه اللوحات الفنية من الجوار للجزيرة العربية، وخاصة من بلاد الرافدين؛ ففي عهد الدولة الآشورية (١٧٠٠ ق م – ٦١٢ ق م) ووادي النيل بمصر، عُثر في قصر الملك آشور بانيبال المشيد في مدينة نينوي، على لوحة صيد للحمير المتوحشة، على جدار قصر مدينة نينوي في القرن السابع قبل الميلاد (Frankfort 1970: Plate 147)، ولوحة أخرى لرمسيس الثالث يصطاد الثيران البرية.، واللوحة على جدران صرح المعبد الجنائزي بمدينة هابو بطيبة (علام ١٩٨٠). كما نجد لوحة للملك آشور ناصر بال وهو يصطاد الأسود (Frankfort 1970:plate 143,144,145):. وقد عثر على هذه اللوحة في مدينة نمرود.

ولا يفوتنا أن ارتباط هذا النوع من الرسم واللوحات الفنية بالتفاخر والتباهي، بدوره، كان مدعاة للمبالغة، وسبباً في تجنب الواقعية المجسدة في الممارسة والمشهد. إضافة إلى أن عنصر المبالغة في تصوير المشاهد رسماً، أيا كان نوعه، يتطلب منا توخي الحذر عند تشخيص الرسوم الأثرية المختلفة وتحليلها. ومما لا شك فيه، أن رسوم صيد الإبل في «قرية» الفاو الأثرية، لها نصيب من التفاخر والتباهي غير مباشر، انبرت إليها مقدرات الفنان خلال القرن الأول والخامس الميلاديين، ليبرز لكل من يشاهد هذه الرسوم جسارة كل من «سالم بن كعب» و«مالك» ومكانتهما. وفي واقع الأمر، فقد نجح الفنان في ذلك، ودليل نجاحه القراءة الأولى والقراءة الثانية لرسوم صيد الإبل في «قرية» الفاو، موضوع بحثنا هذا.

الخلاصة

يمكن القول في خلاصة هذا البحث إن القراءة الثانية لرسوم «قرية» الفاو، تقدمت باحتمالات جديدة في تفسير هذه الرسوم الأثرية، كما أنها سلطت الضوء على جوانب مهمة في عملية صيد حيوان بحجم الإبل وقدرتها الجسمانية، بوسائل تعتمد على الخيل والسنان. ومن ناحية، أوضح البحث جلياً أن صيد حيوان بهذه المواصفات وبمثل هذه الوسائل، يتطلب أن يكون الرمح الطويل أداته الرئيسة. كما تعرفت الدراسة في اللوحة (٢) (الأنصاري ١٩٨٢: ٧٨) على رسم لرجل يحمل رمحا خلف جمل. وهذا الرسم لم ترد له إشارة في ما ورد في مرجع «قرية» الفاو (الأنصاري ١٩٨٢).

وأبرز البحث احتمالين لنوعية الإبل التي رسمت في الدكان الثالث، في سوق المدينة. وبرر البحث إمكانية صحة الاحتمالين، فالاحتمال الأول، أن تكون الإبل برية، والاحتمال الثاني أن تكون مستأنسة، ثم عادت للبرية مرة أخرى. كما دلل البحث على أن طبيعة الظروف البيئية والمناخية في القرن الأول والخامس الميلاديين، تلائم وتتيح تلبية المتطلبات البيئية للإبل البرية وتلك التي توحشت بعد استئناس.

تعامل البحث مع كل رسم من «قرية» الفاو على أنه لقطة واحدة one snap shot من حدث طويل ونشاط ممتد في حيز زماني ومكاني، اختار الفنان من هذا الحدث مشهداً واحداً، ليعبر به عن الحدث وأهميته. وفي هذه الحالة الخاصة برسوم «قرية» الفاو فقد اختار الفنان رسم أشخاص معينين، وقام بكتابة أسمائهم ليدلل على هويتهم، ويبرز مكانتهم.

وبالتدقيق في الرسوم الثلاثة، توصل البحث إلى أن الفرسان الثلاثة فيها يحملون رماحا طويلة، وليس أقواسا وسهاما، ما يرجح أن الرماح الطويلة هي السلاح المستعمل في صيد الإبل، وليس السهام. كما أن الفارس لا يستطيع أن يحمل أكثر من رمح واحد طويل.

وإذا صح هذا التشخيص، فمن جملة المظان أن فرسان قرية» الفاو» كانوا يصطادون الإبل البرية أو المتوحشة، بالأسلوب نفسه الذي كان يتبعه فرسان الحمر في مناطق غربي السودان، وربما بمساعدة كلاب الصيد. ولا غرابة في ذلك التشابه في أساليب الصيد بين مجتمع من القرن الأول الميلادي في الجزيرة العربية، ومجتمع من القرن التاسع عشر الميلادي من إفريقيا. فقد أضحى هنالك

إجماع بأن المجتمعات الإنسانية وعلى اختلافها وتباعدها الجغرافي، تتقدم في تطورها في اتجاهات متوازية، ويتلاقى بعضها مع بعضها الآخر، على الرغم من أن بداياتها تكون مختلفة. وينطلق هذا الإجماع تأكيدا وقبولا للفكرة التي طرحها الباحث تيلر (Tylor 1920) «وحدة بني الإنسان العقلية» Psychic unity of mankind، التي تشير إلى أن جميع البشر وعلى اختلاف أعراقهم وثقافاتهم يجمعهم بناء عقلي عام.

أ.د. علي التجاني الماحي: قسم الآثار، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان.

الهوامش:

- هذه الدراسة أولى نتائج مشروع البحث: Traditional camel management in Dhofar (IG/ART/ARCH/09/01) الذي قامت جامعة السلطان قابوس بتمويله، فالشكر والتقدير لهذا لدعم المادي والأدبي.
- يتقدم الباحث بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري الذي أذن باستعمال رسوم «قرية» الفاو في هذا البحث.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

أبو هلال العسكري ١٩٨٣، **الفروق في اللغة**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.

علام، نعمت إسماعيل ١٩٨٠، **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم** الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ١٩٨١، «**قرية» الفاو صور للحضارة العربية قبل الإسلام، في المملكة العربية السعودية**، الرياض.

أبو الفتح، حسين علي ١٩٩٧، **البيئة الصحراوية العربية**، دار الشروق، عمان – الأردن

الماحي، علي التجاني ٢٠٠١، «استئناس الحيوان والتحولات الإحيائية البيئية والاقتصادية، الثقافية: فلسفة الدليل والاستنتاج»، **أدوماتو** العدد الرابع، يوليو، ص ٢٧–٥٤.

الماحي، علي التجاني ٢٠٠٢، **مدينة بات وعوامل التجوية منذ الألف الثالث ق. م، عبري عبر التاريخ**، وزارة التراث والثقافة

الماحي، علي التجاني (تحت النشر) الرموز الثقافية في الرسوم الصخرية في عمان وإفريقيا: المقارنة والتشخيص. مجلة الدراسات العمانية، سلطنة عمان.

يعقوب، يوسف الشيخ ٢٠٠٢، «الرسومات الصخرية في المنطقة الشرقية»، **مجلة الواحة**، العدد الخامس والعشرون – الربع الثاني، ص ٢١–٢٤.

المراجع

أولاً: المراجع الغير عربية

Anati, E. 1974. **Rock art in central Arabia, Corpus of the rock engravings, sectors J-Q**, Vol. IV, Institut Orientaliste. Louvain: Universite' de Louvain.

Anati, E. 1979. **L'Arte rupestre del Negev e del Sinai**, Milano, Jac Book.

Ashdown, R. and Done, S. 1984. **Veterinary Anatomy, The Ruminants**, Vol. one Gower Medical Publishing, London

Brent, H. **Camelus romedaries** Dromedary, Arabian Camel. http://www.ultimateungulate.com/Artiodactyla/Camelus_dro medarius.html (7.7.2009).

Beech. M.; Mashkour, M.; Huels,M. and Zazzo, A. 2009.

Anati, E. 1962. **Palestine before the Hebrews**. Alfred E. Knopf New York.

Anati, E. 1968. "**Rock art in central Arabia**", In ' Fat tailed sheep in Arabia' and ' The realist-dynamic, style of rock art in the Jebel Qara' vol.II, Institut Orientaliste. Louvain: Universite' de Louvain.

Anati, E. 1970. The rock-engravings of Dahtami Wells in central Arabia. **Bollettino del Centro camuno di studi Prestorici**, 5, pp. 99-158

Anati, E. 1972. Rock art in central Arabia **Corpus of the rock engravings, sectors A-H**, Vol. III, Institut Orientaliste. Louvain: Universite' de Louvain.

Prehistoric, camels in south-eastern Arabia: the discovery of a new site in, Abu Dhabi' western Region, United Arab Emirates. **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**. Volume 39, pp.17-30.

Cattani, M. and Bokonyi, S. 2002. Ash-Shumah, An early Holocene settlement of Desert hunters and Mangrove forgers in the Yemeni Tihamah. In: **Essays on the Late Prehistory of the Arabian peninsula**. (ed.) Cleuziou, S.; Tosi, M. and Zarins, J. Serie Orientale Roma, XCIII. Rome.

Camel. Wikipedia, the free encyclopedia.

http://en.wikipedia.org/wiki/Camel#Genetics (12.7.2009)

Clutton-Brock, J. 1981. **Domesticated Animals from Early Times. Heinemann** British Museum (Natural History).

Clutton-Brock, J. 1981. **Domesticated Animals from Early Times**. Heinemann British Museum (Natural History).

Cunnison, I. 1958. Giraffe Hunting among the Humr. **Sudan Notes and Records** Vol. 1, 39, pp. 49-60.

Driesch, A.V. D; Bruckner, H. Obermaier, Zander, A. 2008. The hunt for wild dromedaries at the United Arab Emirates coast during the 3rd and 2nd millennia BC. Camel bones from the excavations at Al Sufouh 2, Dubai, UAE **Archaeozoology of the Near East VIII**, pp. 147-497 TMO 49, Maison de l'Orient et de la Méditerranée, Lyon.

De Laubenfels, D. J. 1970. A geography of plants and animals. The Brown Foundations of Geography Series (Ed. Fussion, R. H.), pp. 25-69. W.M.C. Brown Company Publishers. Dubuque,

Eckholm, 1975. Desertification: A world problem. **Ambio**. Vol.4, No. 4, pp. 137-145.

ElMahi, A.T. 2004. Development and Conservation: A time of amendments? **Horizon 29** February Sultan Qaboos University.

ElMahi, A.T. 2000. The Ibex Hunt in the Rock Art of Oman. **New Arabian Studies**. pp. 33-46.

ElMahi, A.T. 2001. The Ostrich in the Rock Art of Oman. **Adumatu**, issue No.3, January pp. 15-26.

Frankfort, H.A.G. 1970. **Art of the Ancient World** (ed.) H.W.Janson Harry N.Abrams, Inc. Publishers. Japan.

Grigson, C. 1983. A very large camel from the Upper Pleistocene of the Negev Desert. **Journal of Archaeological Science**, vol. 10, pp. 311-316.

Klingel, g. 1985. Soziale Organisation des Dromedars **(Camelus romedaries). Verhandlungen der Deutschen Zoologischen Gesellschaft**, 78:2- 10.

Ingers, J.A.D. 1922. **Pens'ees d'Ingres London**

Jerome,T. 2006. Prehistoric Syrian giant evolved into modern-day camel. http: //www.independent.co.uk/news/science/prehistoric-syrian-giant-evolved-into-modernday-camel-419311.html

Macdonald, M.C.A. 1990. **Camel hunting or camel raiding?** Arabian Archaeology and Epigraphy Vol. 1 Issue 1, October, pp. 24-28.

Ripinsky, M. 1975. The camel in ancient Arabia **Antiquity** 49, pp. 295-8.

Surtees, R. S. 1843. **Handley Cross** ch. 7; cf. Somerville 299:1.

Tylor, Edward. 1920. **Primitive Culture: researches into the development of mythology, Philosophy, religion, art and custom** (2 vol.) J.P. Putnam's Sons, New York.

Tchernov, E. 1974. A study of the fauna from Sectors A-Q In Rock art in Central Arabia Vol. IV, **Corpus of the rock engravings, sectors J-Q**. (ed.) E. Anati, pp. 209-252 Louvain: Universite' de Louvain.

Wallace, A. R. 1876. Ethiopian Region, the Geographical distribution of Animals(S718). **Http:www.wku.edu/smithch/pics/S718e**.jpg 03///05/2009.

Zarins, J. 1978. The camel in ancient Arabia: a further note **Antiquity**, vol. 52, pp. 44-46.

Zarins, J., Murad, A. and al-Yish 1981. Comprehensive archaeological survey program – a. The second preliminary report on the southwestern Province. **Atlal** 5, 9-42.

Zarins, J. 1989. Pastoralism in southwest Asia: the second millennium BC. in **The Walking Larder**. Ed. J- Clutton-Brock. Pp. 125-1551. UNWIN HYMAN, London.